خطاب بديل ـ أكثر ملاءمةً وحقيقيةً ـ للأحداث. و هذا ينطبق بنفس القدر على أولئك المنخرطين في خطّ "الإنتاج" ـ مراسلين، رؤساء تحرير، منتجي برامج، كتاب الزوايا الصحفية، الخ ـ مثلما ينطبق على أولئك الذين "يستهلكون" المعلومات الناتجة ويتخذون مواقف متفاوتة في درجة الوعي النقدي المطّلع. بالطبع يتعرّض المعنيون بالإنتاج إلى ضغوطات جمّة من قبل الرقابة، سواء أكانت على شكل توجيهات صريحة من الحكومة والمصادر العسكرية أو من خلال تأثيرات شيفرة مهنية تفرض نفسها ذاتياً وتنذرهم (بما معناه) أنّ وظائفهم في خطر إذا هم نشروا تقارير صحفية أو قدّموا آراءً تتناقض مع الصّورة الرسمية. مع ذلك، ثمّة مناسبات تتسع فيها فجوة المصداقية (إذا صحّ التعبير) إلى درجة لايصعب على المتفرّجين من خلالها إدراك أنّ الهوّة القائمة بين النسخة المعمول بها رسمياً ـ كما أعطيت مترافقة مع التعليق والصوت، وخاضعة لتنقية عسكرية ـ وبين ما يشاهدونه حقيقةً على الشاشة.

مثالان ينبثقان بسطوع خاصّ، وسوف يستمرّان بلا شكّ في إثارة مماحكات مريرة. الأوّل هو قصف "الحلفاء" لملجأ ضدّ الغارات الجوية في العامرية الذي كان يضمّ عدداً كبيراً من المدنيين من الرجال والنساء والأطفال، ولكنه ـ وحسب المصادر الأمريكية ـ كان في الواقع مركز قيادة للعمليات العراقية، وبالتالي يمثّل هدفاً مشروعاً. لقد أظهرت تقارير الأخبار التلفزيونية (*BBC* و *ITN* مساء الرابع عشر من شباط وما تلاه) بكلّ طاعة الشروحات الرّسمية، بما في ذلك هذر الحكومة المعتاد عن "التراجيديا" و"الأضرار الجانبية" و"حوادث الحرب التي لايمكن تجنّبها"، الخ. ولكنها أظهرت أيضاً كلّ من المذبحة التي وقعت (أطفال موتى، أجساد ممزّقة، أقرباء ينوحون) **والدّليل** ـ الذي قُدّم بشكل ملتبس بالصوت، ولكنّه لايخفى على أيّ متفرّج متيّقظ ـ بأنّ هذا الملجأ لا يحتوي على أدنى مؤشّر بأنّه كان يقوم بدور اتصالات عسكرية أو استراتيجية. ما طفى على السطح إذن هو